الفصل الأول

الحرب الباردة والصراع العربي الإسرائيلي

من نتائج الحرب العالمية الثانية انحسار نفوذ الاستعمار القديم (انجلترا – فرنسا – إيطاليا) وبداية سطوع نجم الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى خَيِّرة – هكذا كانت تبدو حينئذ – تسعى لإنهاء الاستعمار القديم وتحرير شعوب الشرق الأوسط عن طريق الضغط على المستعمرين لتوقيع اتفاقيات جلاء عن هذه الدول ، مع السعي الحثيث لتسوية سياسية سلمية للصراع ، كل هذا ، لإبعاد خطر الشيوعية عن المنطقة، والسيطرة على البترول : تنقيبا ، واستخراجا ، ومواصلات ، وفوائد أموال لذا عملت على ربط دول الشرق بها والدوران في فلكها ، مستخدمة قوة السياسة بديلا عن سياسة القوة .

عبد الناصر والسياسة الأمريكية

إن تنظيم الضباط الأحرار الذي كان يتزعمه جمال عبد الناصر كان تنظيما مصريا وطنيا خالصاً نشأ بدوافع مصرية ، وبنوايا وطنية صادقة ، وأن غالبية الضباط الأحرار لم تكن تعرف لا وقتها وربما إلى الآن هذه الصفقة التي عقدها عبد الناصر مع المخابرات الأمريكية ، وأن جمال عبد الناصر لم يكن عميلا أمريكيا بل كان حليفا أمريكيا ، تلاقت أفكاره مع أفكارها ، وجعل فلسفته تلقى عطف أمريكا وتأييدها .

إن هذه الصلة التي بدت صحية وضرورية ، وحققت نتائج باهرة مثل : النجاح المدهش في سهولته انقلاب ٢٣ يوليو ، ومثل شل القوات البريطانية ومنعها من

التدخل ، ثم إجبار بريطانيا العظمى على قبول الانسحاب من السودان ، ثم خلع محمد نجيب وتثبيت عبد الناصر ثم إحباط الغزو البريطاني الفرنسي الإسرائيلي (العدوان الثلاثي) وطرح عبد الناصر زعيما للقومية العربية ، بل والمساعدة في تحرير الوطن العربي من الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي . [1]

لقد كان من أهم أهداف السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، والتي تعاون عبد الناصر معها في تطبيقها :

١- تصفية الاستعمار القديم (انجلترا ، وفرنسا ، والإيطالي) .

٢- ضمان سلامة وبقاء إسرائيل حامية المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط

٣- مقاومة النفوذ السوفييت من الزحف على منطقة الشرق الأوسط ، ونشر أيدلوجيته (الشيوعية) .

ولقد نجح التحالف الأمريكي / الناصري في تحقيق هذه الأهداف الثلاثة ، حتى انقلب عبد الناصر على الهدف الثالث وقام بعقد صفقة الأسلحة التشيكية . وولى وجهه شطر الاتحاد السوفييتي ، ظنا منه أن الاتحاد السوفييتي يمكن أن يكون حليفا استراتيجيا يعتمد عليه لمقاومة السياسة الأمريكية الداعمة لإسرائيل ، وهو لا يدري الوفاق بين الروس والأمريكان حول وجوب توفير سلامة وبقاء إسرائيل ،وأن الاتحاد السوفييتي يمكن أن يساعد في تقديم بعض السلاح الدفاعي ، وأن الاتحاد السوفييتي ممكن أن يشاغب أمريكا أو على أقصى تقدير يضع بعض العقبات في سبيل إتمام المشروع الأمريكي يساوم بها للحصول على بعض المكاسب أو يحصل على جزء من الكعكة ، لكنه ليس على استعداد أن يقف في وجه الإمبراطورية الأمريكية ، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه .[2]

([1]) انظر محمد جلال كشك " ثورة يوليو الأمريكية " الزهراء للإعلام العربي ص ٢٢، ٢٣

([2]) لمزيد من التفاصيل حول علاقة عبد الناصر بأمريكا انظر " دروس سياسية من التجربة الناصرية " للمؤلف .

ونتيجة لرفض مصر عبد الناصر سياسة الأحلاف الأمريكية ،وإتمام صفقة الأسلحة التشيكية ، وإدخال السوفييت كطرف فاعل في المنطقة ، ومحاولة تقليص النفوذ الأمريكي من المنطقة انحازت أمريكا لإسرائيل انحيازا كاملا وأمدتها بجميع أسباب القوة العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والتكنولوجية .. وذلك حتى تضمن تفوقها على أعدائها من العرب وعلى رأسهم جمال عبد الناصر عدو أمريكا وحليف السوفييت .

فقد كان نيكسون رئيس الولايات المتحدة السابق " يميل إلى النظر إلى قضايا الشرق الأوسط من زاوية المنافسة العريضة بين الولايات المتحدة والسوفييت . ولعل آراءه تبلورت أثناء أزمة السويس عندما خَلُص إلى الرأي القائل إن سياسة أيزنهاور في وقف التحرك البريطاني الفرنسي ضد عبد الناصر كانت سيئة التوجيه . وكان في اعتقاده أنه لا يسعَ المرء أن يُضْعِف الأصدقاء ، وأن يساعد الخصوم الذين يعتمدون على تأييد السوفييت وأدت حقائق عام ١٩٦٩ بكيسنجر إلى المطالبة بتقديم عون قوي لإسرائيل إلى أن يحين الوقت الذي يقرر فيه العرب الانفصال عن موسكو "[1]

وكانت نصيحة الرئيس الأمريكي إيزنهاور وهو على فراش الموت لنيكسون عندما ذهب لزيارته هو وكيسنجر في مستشفى " والتر ريد " العسكري هي : " ألا تتورط أمريكا في نزاع الشرق الأوسط بعد أن تنكرت مصر (عبد الناصر) لموقف أيزنهاور ونسبت الفضل في وقف العدوان (العدوان الثلاثي على مصر) إلى الاتحاد السوفيتي " [2]

ويتعجب كيسنجر في مذكراته من موقف عبد الناصر من السياسة الأمريكية فيقول: " كيف اعتقد عبد الناصر أن نيكسون يمكن أن يتحدى المعارضة الداخلية

([1]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٧٩

([2]) هنري كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٥٤

والرفض الإسرائيلي والتباعد السوفيتي المتحفظ وكل ذلك من أجل تأييد الحد الأقصى لأهداف دولة (مصر) [1] رفضت العلاقات الدبلوماسية معنا وظلت سياستها الخارجية غير ودية في أساسها ، وفي الحقيقة أن عبد الناصر سعى إلى التعامل معنا عن طريق الابتزاز غير أنه لم يكن يملك شيئا يهددنا به ، وقد أصر محمود فوزي (مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية) في هدوء بناء على تعليمات عبد الناصر على أن يحصل على شيء مقابل لا شيء ، التأييد الأمريكي ضد إسرائيل ، والتأييد السوفييتي ضد الولايات المتحدة الأمريكية وقيادة الحركات الثورية في العالم الثالث والسياسة الخارجية لا تسير على هذا النحو " [2]

كان هذا موقف السياسة الأمريكية فماذا عن موقف الرأي العام الأمريكي في تلك الفترة (١٩٥٦- ١٩٦٩) ؟ لقد كان الرأي العام الأمريكي " ممالئا لإسرائيل جدا ، ولم يبرح ينظر إلى الدولة اليهودية وكأنها البطل داود وهو يواجه جوليات العربي العدواني الممالئ السوفييت " [3]

عبد الناصر يعدِّل من سياسته تجاه أمريكا

وكانت نتيجة سياسة عبد الناصر الذي " لا يرى في المستقبل إلا أن يكون قائدا للعرب المتطرفين الذين يخلطون بين العبارات البليغة والإنجازات " على حد تعبير كيسنجر [4] أن كبا به جواد السوفيت وبددت شعاراتِه العنتريةِ ريحُ الهزيمة الساحقة

([1]) في موضع آخر من مذكراته ذكر كيسنجر هدف عبد الناصر من الاتصالات الدبلوماسية مع أمريكا فقال : " وقد أصر عبد الناصر على الانسحاب غير المشروط من جميع الأراضي المحتلة ولكنه لم يوضح على الإطلاق ما هو الحافز لدى إسرائيل للانسحاب في مقابل عروضه الغامضة بإنهاء حالة الحرب . كما أنه لم يذكر سابقة واحدة على تسوية سلمية ترتكز فقط على الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الأراضي التي احتلها . " نفسه ص ٤٦

([2]) كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٦٩

([3]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٨١

([4]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٩٢

وأضاعت قوميتُه العربية العربَ فبدلا من تحرير فلسطين من العدو الصهيوني أضاع سيناء ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والقدس الشريف ، ومرتفعات الجولان مما حدا بالرئيس جمال عبد الناصر زعيم جبهة الرفض للسياسة الأمريكية أن يعدل موقفة من الولايات المتحدة الأمريكية ويسعى لطلب ودها ومساعدتها . تماما كما سيفعل العرب جميعا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أواخر ثمانينات القرن الماضي .

وفي لقاء نيكسون يوم ٨ إبريل ١٩٦٩ تحدث الملك حسين (ملك الأردن) أيضا بالنيابة عن عبد الناصر مؤكدا على الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وقال الملك الحسين باسم عبد الناصر : **أنهما مستعدان لتوقيع أي وثيقة مع إسرائيل باستثناء أن تكون في شكل معاهدة** " [١]

واضطر عبد الناصر إلى إعلان تراجعه عن مواقفه المشددة تجاه أمريكا في حديث إلى الصحافة الأمريكية اعتذر فيه عن اتهامه أمريكا بالاشتراك في عدوان ١٩٦٧ وفي حديث آخر لمجلة " تايم " **أعلن فيه أنه يقبل تسوية مع إسرائيل وأنه يعترف بإسرائيل مقابل الانسحاب الكامل (من الأراضي التي احتلتها بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧) وعودة اللاجئين الفلسطينيين** " [٢]

وفي خلال إقامة سيسكو (مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط) في القاهرة (من ١٠ إلى ١٤ إبريل عام ١٩٧٠) دعا عبد الناصر بصورة أساسية إلى محاولة التعامل مع الولايات المتحدة باعتبارها وسيطا أمينا صحيح أن عبد الناصر لم يكن لديه إلا قلة من الأسباب التي تدعوه إلى أن يرجو الشيء الكثير من الولايات المتحدة ، ولكنه كان يعاني من خسائر فادحة في مواصلة القتال مع إسرائيل وكان اعتماده على الاتحاد السوفييتي يتزايد ولعل اتخاذ موقف إيجابي من الأمريكيين يحول دون إرسال شحنات جديدة من طائرات الفانتوم إلى إسرائيل . [٣]

([1]) كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٧٠
([2]) نفسه ص ٧٣
([3]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٩٦

في عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ ألقى عبد الناصر خطابا وجه فيه رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون قال فيها : " **إن احنا نقبل قرار مجلس الأمن (رقم ٢٤٢) إن احنا نقبل تنفيذ كل ما جاء فى قرار مجلس الأمن، ونقبل تنفيذ كل ترتيبات السلام التى نص عليها قرار مجلس الأمن، ولكن على إسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضى المحتلة كما نص على هذا قرار مجلس الأمن** ، وعلى إسرائيل أن تنفذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني كما نص على هذا قرار مجلس الأمن... **من عشر سنين، احنا كان عندنا غلطة ان احنا لم نقدر التقدير الصحيح فى الماضى، لم نستعد كما استعد العدو، ولكن احنا قلنا نحن فعلاً كنا نريد السلام ولكن العدو كان يريد التوسع...** نتوجه من هنا بنداء إلى الرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" .. أقول إننا برغم كل ما حدث لم نغلق الباب نهائياً مع الولايات المتحدة الأمريكية برغم الإساءات الكثيرة اللى وجهت إلينا، ورغم القنابل والنابلم و"الفانتوم"، قبل أسابيع قليلة قابلت "سيسكو" – مساعد وزير الخارجية الأمريكية – وقابلته من منطلق أننا نريد أن تكون وجهة نظرنا معروفة بوضوح لدى الولايات المتحدة الأمريكية.. إننى أتوجه إلى الرئيس "نيكسون" وأقول له إن الولايات المتحدة الأمريكية على وشك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربي بخطوة أخرى على طريق تأكيد التفوق العسكرى لصالح إسرائيل سوف تفرض على الأمة العربية موقفاً لا رجعة فيه.. موقف يتعين علينا أن نستنتج منه ما هو ضرورى؛ وذلك سوف يؤثر على كل علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأمة العربية لعشرات السنين، وربما مئات السنين، إننى أقول له – وهو يعرف أننى أعنى ما أقول – إن الأمة العربية لن تستسلم، ولن تفرط، وهى تريد سلاماً حقيقياً؛ ولكنها تؤمن أن السلام لا يقوم على غير العدل. أريد أن أقول إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ..

والحل الثاني: إذا لم يكن في طاقة أمريكا أن تأمر إسرائيل .. نطلب طلباً واحداً هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا؛ ذلك الطلب هو أن تكف عن أي دعم جديد لإسرائيل طالما هي تحتل أراضينا العربية؛ أي دعم سياسي أو دعم عسكري أو دعم اقتصادي.

إننى أقول للرئيس "نيكسون": إن هناك لحظة فاصلة قادمة فى العلاقات العربية – الأمريكية؛ إما أن نكرس القطيعة إلى الأبد، وإما أن تكون بداية أخرى جادة ومحددة. إن التطورات القادمة لن تمس العلاقات العربية – الأمريكية وحدها؛ وإنما سوف تكون لها تأثيرات خطيرة أوسع من ذلك وأبعد. إننا طلبنا وسوف نطلب كل معونة من أصدقائنا؛ من أصدقاء التقدم والسلام والحرية؛ ذلك لأن معركتنا هى معركة التقدم والسلام والحرية. إن تصميمنا على تحرير أراضينا هو الحق الشرعي الأول لأي أمة تعرف لكرامتها قيمة.. إنني أتوجه بهذا كله إلى الرئيس "نيكسون" لأن اللحظة دقيقة، ولأن العواقب بالغة الخطورة، ورغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بلدينا فإنه لا شيء يمنعنا من توجيه نداء آخر وأخير من أجل السلام فى الشرق الأوسط ... إن على الرئيس "نيكسون" أن يطل بنظرة على ما يجرى فى إسرائيل نفسها لكى يرى الصورة على حقيقتها. إن هناك أصواتاً كثيرة –حتى فى إسرائيل نفسها – بدأت تحذر من الطريق الوعر والخطر الذى تنزلق فيه الجماعة العسكرية الحاكمة فى إسرائيل، والذى تريد أن تجر إليه معها الشرق الأوسط كله، وربما ما هو أكبر من الشرق الأوسط . هذا هو النداء الذى أوجهه إلى الرئيس الأمريكي "نيكسون" (١)

قد ألقى عبد الناصر هذا الخطاب لكي يفتح الباب أمام تفاهم مصري أمريكي بعد أن يئس تماما من الموقف السوفييتي ، وبعد أن اقتنع أن أوراق اللعبة في يد أمريكا (٢)

سجلت زيارة سيسكو وخطاب عبد الناصر وتصريحاته للصحف الأمريكية نقطة التحول في جانب من جوانب الدبلوماسية الأمريكية وجاءت الخطوة التالية من جانب

([1]) من خطبة الرئيس عبد الناصر ١٩٧٠/٥/١ نقلا عن موقع عبد الناصر على الإنترنت .

([2]) موسى صبري تعليقا على " مذكرات كيسنجر " كتاب اليوم ص ٥٤

الاتحاد السوفيتي ففي ٢ يونيو اجتمع دوبرينين (سفير الاتحاد السوفيتي لدى أمريكا) بروجرز (وزير خارجية أمريكا) وسيسكو وادَّعى دوبرينين في هذا الاجتماع **أن الاتحاد السوفيتي ظفر من عبد الناصر بتنازلين مهمين أولهما أن مصر توافق على السيطرة على نشاط الفدائيين الذين ينطلقون من الأراضي المصرية إذا ما سرى وقف إطلاق النار . وثانيهما أن مصر توافق على إنهاء حالة الحرب بالتوقيع على اتفاقية** "[1]

وفي ١٩ يونيو ١٩٧٠ تلقت مصر من وزير الخارجية الأمريكي (روجرز) كتابا يشير إلى خطاب عبد الناصر ويتضمن مبادرة على الأسس التالية :

١- موافقة مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار على الأقل لفترة محددة .

٢- موافقة البلدين (والأردن) على بيان يتضمنه تقرير مقدم من السفير يارنج إلى سكرتير عام الأمم المتحدة .

أ- أنها وقد قبلت وأبدت استعدادها لتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل أجزائه فإنها ستقوم بتعيين ممثلين في المناقشة التي ستجري تحت رعايتي وفقا للإجراءات وفي الأماكن والأزمنة التي اقترحها آخذا في الاعتبار رغبات كل طرف .

ب- أن الغرض من المناقشات المشار إليها هو التوصل لاتفاق على إقرار السلام العادل والدائم فيها على أساس : **الاعتراف المتبادل بالسيادة والسلامة الإقليمية والاستقلال السياسي – والانسحاب الإسرائيلي من أراض احتلت في نزاع ١٩٦٧ وذلك وفقا للقرار ٢٤٢ .**

ج- ولتسهيل مهمتي في تنشيط الاتفاق حسبما نص عليه القرار ٢٤٢ فإن الأطراف سوف تراعي بدقة قرارات مجلس الأمن بوقف القتال وذلك منذ أول يوليو حتى أول أكتوبر على الأقل ." [2]

([1]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٩٧

([2]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٧٨

ولقد قبل عبد الناصر مبادرة روجرز المؤرخة في ١٩ يونيو بغير شرط وذلك بُعَيْد عودته من موسكو في ٢٢ يوليو ، وفي ٢٦ يوليو قبلها الأردن بدوره " [1]

وكانت القوات المصرية قد تمكنت بجهد خارق قبل موعد سريان وقف إطلاق النار في الساعة الواحدة من صباح ٨ أغسطس ١٩٧٠ من استكمال تجهيز المواقع الضرورية لشبكة الصواريخ واكتشفت إسرائيل أنها أصبحت تواجه شبكة كاملة من مواقع صواريخ الدفاع الجوي . واتهمت إسرائيل مصر بمخالفة اتفاق وقف إطلاق النار وأعلنت رفضها إجراء أية اتصالات مع يانج فانهارت مبادرة روجرز .

وإن كان وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل قد استمر حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أعلنت سوريا والعراق رفض المبادرة الأمريكية كما عارضتها منظمة التحرير الفلسطينية وشنت هجوما على عبد الناصر فأمر بوقف إذاعاتها من مصر وسارت التظاهرات في بيروت وعمان متهمة الزعيم المصري بالخيانة . [2]

كان عبد الناصر قبل موته قد وصل إلى حقيقة مفادها أن إسرائيل لن تتنازل عن الأراضي العربية في تسوية سلمية مع العرب ما دامت خرجت من المعركة معهم بانتصار ساحق " كيف نذهب نحن إلى مائدة المفاوضات وهناك سيناء المحتلة والضفة الغربية المحتلة والقدس المحتلة وغزة المحتلة والجولان المحتلة ؟! كل هذه الأرض أرض عربية احتلتها إسرائيل، واغتصبتها إسرائيل فى سنة ١٩٦٧.. كيف نذهب ونكون على مائدة المفاوضات على قدم المساواة ؟

إننا حينما نذهب إلى هذه المفاوضات ونجلس على مائدة المفاوضات لن تكون هذه المائدة بالنسبة لنا مائدة مفاوضات، وإنما مائدة الاستسلام؛ لأن عدونا حينما

([1]) وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٩٨

([2]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٨٠

يتكلم إنما يتكلم من منطق القوة، والغريب أن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد هذا الكلام "[1]

السادات قرار الحرب وخيار السلام

بعد موت جمال عبد الناصر وتولي أنور السادات حكم مصر تغيرت السياسة المصرية تجاه الولايات المتحدة فقد كان السادات لا يثق في الاتحاد السوفييتي ويردد أن ٩٩% من أوراق اللعبة السياسية في يد الولايات المتحدة الأمريكية وقد سعى إلى إقامة اتصال سري مباشر مع البيت الأبيض الأمريكي . ولكن السادات فوجئ أن طريق التسوية السلمية مسدودا بعد نجاح إسرائيل في هزيمة العرب وتدمير قوتهم والاستيلاء على الأراضي العربية بالقوة ولا توجد سابقة واحدة على تسوية سلمية ترتكز فقط على الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الأراضي التي احتلها لذا اضطر السادات لاتخاذ قرار الحرب .

كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ هي التي قضت على غرور قادة إسرائيلي ودعتهم للتفكير جديا في تسوية سلمية بعد رفضهم الدائم لها اعتمادا على قوتهم وضعف العرب .

وأثناء حرب أكتوبر المجيدة وجه السادات من مجلس الشعب الدعوة لعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط تشارك فيه الدول الخمس المتمتعة بعضوية مجلس الأمن الدائمة .

وفي ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ليصبح هو والقرار رقم ٢٤٢ أساس التسوية الشاملة بين الأطراف العربية وإسرائيل . وينص القرار على دعوة الأطراف إلى وقف كل أعمال القتال والنشاط الحربي فورا خلال ١٢ ساعة على

([1]) من خطبة الرئيس عبد الناصر ١٩٧٠/٥/١ نقلا عن موقع عبد الناصر على الإنترنت .

الأكثر وذلك في المواقع التي احتلتها يوم ٢٢ أكتوبر وبدء تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل أجزائه فور وقف إطلاق النار على أن تبدأ فورا المفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الرعاية المناسبة بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط . (1)

مؤتمر جنيف للسلام

واستجابة للاقتراح الذي أعلنه السادات خلال الحرب وافق كيسنجر على عقد مؤتمر جنيف برئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ وحضر المؤتمر وزراء خارجية مصر والأردن وإسرائيل وسكرتير عام الأمم المتحدة **أما سوريا فقد امتنعت عن حضور المؤتمر** ، وأما منظمة التحرير الفلسطينية – التي كانت مصر تطالب بمشاركتها – فإنها لم تدع إلى المؤتمر على أن يقوم أعضاء المؤتمر ببحث مسألة التمثيل الفلسطيني وبعد إلقاء الوفود كلماتهم الافتتاحية انفض مؤتمر جنيف ولم يعقد مرة أخرى فقد كان كيسنجر حريصا على العمل خارج نطاقه واستبعاد الاتحاد السوفيتي من عملية السلام . واتباع إستراتيجية مفادها التصدي للصراع العربي الإسرائيلي من خلال خطوات متتالية دون تحديد ماهية الحل النهائي ، وقد تجاوب السادات مع هذا الاختبار في لقائه الأول معه وتم توقيع اتفاقيتي الفصل بين القوات على الجبهة المصرية تنفيذا لهذه الإستراتيجية ، وفي حين وافق السادات على الاتفاقية الثانية التي تشكل بطابعها السياسي خطوة كبيرة على الطريق **فإن سوريا رفضت السير فيه بعد عقد اتفاقها العسكري بالفصل بين قواتها وقوات إسرائيل في الجولان . أما السادات فقد سار في الطريق حتى النهاية .** (2)

معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية

عقد مؤتمر كامب ديفيد في الفترة من ٥ إلى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ وتقدمت مصر بمشروعها القائم على أساس توقيع معاهدات سلام تشمل التنفيذ الكامل للقرارين ٢٤٢

(1) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٩٠
(2) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٩٦

و ٣٣٨ وانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة مع ترتيبات أمنية وإقامة علاقات سلام ووضع جدول زمني لتنفيذ الالتزامات المتبادلة . ودعا المشروع المصري الأطراف العربية الأخرى للانضمام في إطار مؤتمر جنيف .

كما تضمن المشروع أحكاما عن تسوية المسألة الفلسطينية تتضمن فترة انتقالية وممارسة الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير قبل انتهاء تلك الفترة ، كما تتضمن أحكاما بشان القدس على أساس انسحاب إسرائيل وتشكيل مجلس بلدي مشترك وضمان حرية العبادة والوصول لأماكنها ، وأحكاما بشأن تمكين اللاجئين من العودة أو التعويض . [1]

نجحت خطة كيسنجر في التعامل مع النزاع العربي الإسرائيلي بسياسة الخطة خطوة وإقامة السلام على مراحل ، ولكن ظل نجاحها قاصرا على مصر وإسرائيل بسبب تبني سوريا والأردن ومنظمة التحرير لمبدأ لا تسوية سلمية مع إسرائيل قبل انسحابها الكامل دون شرط أو قيد من الأراضي العربية المحتلة ولقد شجع الاتحاد السوفيتي هذه السياسة – وربما هو الذي أملاها على حلفائه العرب – حتى يضمن تبعية هذه الدول له . إذ لو حُل الصراع العربي الإسرائيلي سلميا بمبادرة أمريكية لانعدمت حاجة هذه الدول للتحالف معه إذ أن لجوءها إليه كان لمعاونتها في الحصول على حقوقها المشروعة ونكاية في أمريكا حليفة إسرائيل .

ولقد تمكنت مصر من توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في ٢٦ مارس ١٩٧٩وقد نصت المعاهدة على ممارسة مصر لسيادتها الكاملة حتى حدودها الدولية (مع فلسطين تحت الانتداب) وانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء واستخدام مطارات رفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية وحدها وحرية الملاحة في

([1]) نفسه ص ٩٦

قناة السويس وفقا لاتفاقية القسطنطينية وفي مضيق تيران وخليج العقبة كممرات مائية دولية وإقامة طريق سريع بين سيناء والأردن بالقرب من إيلات مع ضمانات لحرية المرور بين مصر والأردن ومرابطة قوات عسكرية وضع الاتفاق تفاصيلها ومواقعها . وبعد توقيع المعاهدة وتمام الانسحاب المرحلي تقام العلاقات الطبيعية بين مصر وإسرائيل .

أما بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة فقد تضمن اتفاق كامب ديفيد خطة للتسوية على مراحل : الأولى مرحلة انتقالية تمتد خمس سنوات تنقل فيها إلى سلطة فلسطينية منتخبة سلطات ومسئوليات حكم ذاتي كامل مع وضع ترتيبات أمنية وأخرى لعودة النازحين الفلسطينيين أثناء ١٩٦٧، وفي المرحلة الثانية تجرى مفاوضات بين ممثلي الفلسطينيين وإسرائيل ومصر للاتفاق على الوضع النهائي ، ومفاوضات أخرى لعقد معاهدة سلام إسرائيلية أردنية تشارك فيها نفس الأطراف عدا مصر وتجرى هذه المفاوضات – بنوعيها – في موعد لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية وعلى أساس القرار ٢٤٢ .[1]

جبهة الرفض العربية

إن منظمات الفلسطينية بدعم من الاتحاد السوفيتي والحكام العرب الراديكاليين رفضت الاشتراك في مباحثات السلام المصرية الإسرائيلية بالرعاية الأمريكية بل وشكلوا جبهة للصمود والتصدي من ليبيا والجزائر والعراق واليمن الديمقراطية وسوريا ومنظمة التحرير ومقاطعة نظام السادات سياسيا .

وعقب توقيع اتفاقات كامب ديفيد وَقَّع ٩٦ من عُمَد والقادة الفلسطينيين في اجتماع عقدوه في القدس أول أكتوبر على بيان أعلنوا فيه الرفض القاطع للاتفاقات التي

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٠٦ ، ١٠٧

اعتبروها متعارضة مع كل قرارات القمم العربية وقرارات الأمم المتحدة ومنافية لحقوق الشعب الفلسطيني " حيث إن الخطة التي تتضمنها بشأن المسألة الفلسطينية تؤدي إلى تثبيت الاحتلال الإسرائيلي ، كما أن الاتفاقات في حد ذاتها تعتبر صلحا منفردا بين مصر وإسرائيل " .

كما رفض المجلس الوطني الفلسطيني اتفاقات كامب ديفيد ودعا إلى تكتل الفلسطينيين والعرب لمقاومته ومواصلة النضال على الساحة الدولية لتثبيت المكاسب التي تحققت بالاعتراف دوليا بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وبمنظمة التحرير وقد وقفت الدول العربية إلى جانب منظمة التحرير معلنة معارضتها لرحلة السادات إلى القدس ، ثم لاتفاقات كامب ديفيد عقب توقيعها . فعقد مؤتمر قمة عربية في طرابلس في ديسمبر ١٩٧٧ بدعوة من العقيد معمر القذافي حضرته سوريا والجزائر والعراق واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير وليبيا وقام بدراسة الأوضاع العربية بعد زيارة القدس واعتبر هذه الزيارة خرقا خطيرا لمبادئ وأهداف النضال العربي ضد العدو الصهيوني وتبديدا لحقوق الشعب الفلسطيني وخروجا على الوحدة العربية ومخالفة خطيرة لميثاق الجامعة العربية وقرارات القمم العربية وانسحابا من جانب مصر من جبهة النضال ضد العدو الصهيوني . وقرر تجميد العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة المصرية وعدم التعامل معها على المستويين العربي والدولي ومقاطعة اجتماعات الجامعة العربية التي تعقد في مصر

ثم عقد مؤتمر قمة جبهة الصمود والتصدي من الجزائر وليبيا واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير في دمشق ١٩٧٨ حيث قرر قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع مصر وتشجيع القوى التقدية والوطنية في مصر للإطاحة بنظام السادات ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة وتحويل جبهة الصمود والتصدي إلى قاعدة للنضال العربي ، ورفض أية مساومة من قبل أي طرف عربي على القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني وتأييد نضاله تحت قيادة منظمة التحرير .

وكانت الدعوة الصريحة إلى الإطاحة بحكومة السادات كفيلة بالقضاء على أي أمل في المصالحة العربية كما كان الرفض القاطع لاتفاقات كامب ديفيد يحكم على الحكم الذاتي التي تتضمنها بالفشل . [1]

تراجع جبهة الرفض عن مواقفها

العجيب أن الدول التي رفضت اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية / الإسرائيلية قد تراجعت عن مواقفها هذه ،وعقدت منظمة التحرير اتفاقية إعلان مبادئ مع إسرائيل في أسلو ١٩٩٣ ، كما عقدت الأردن معاهدة سلام مع إسرائيل في عام ١٩٩٤ . وافقت سوريا على اتفاقية سلام مع إسرائيل عام ٢٠٠٠ ولكن إسرائيل تراجعت عنها في اللحظة الأخيرة . هذا عن دول المواجهة أما ليبيا فقد قد أعلنت في ديسمبر ٢٠٠٣ الماضي بشكل مفاجئ عن امتلاكها برنامجا نوويا سريا وأعربت عن استعدادها التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل وقدمت تفاصيله للوكالة الدولية للطاقة الذرية . كما أن معمر القذافي استقبل وفدا من اليهود الإيطاليين، الذين عاشوا في ليبيا سابقا، لإجراء محادثات بشأن إمكانية دفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الليبيين الذين طردوا من البلاد في أعقاب حرب ٦٧ بالشرق الأوسط . وقد وصفت الخطوة بأنها تحول كبير آخر في سياسة ليبيا.

ونتيجة لهذه السياسة الليبية فقد أنهى الاتحاد الأوروبي العقوبات الاقتصادية التي كان قد فرضها على ليبيا واستمرت ١٢ عاما بسبب قضية لوكربي ، كما رفع الحظر الذي كان مفروضا على الأسلحة كرد فعل على تخلي ليبيا عن برنامجها لأسلحة الدمار الشامل وعدد من الخطوات الأخرى التي وصفت بالايجابية نحو الغرب والولايات المتحدة. [2]

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٠٩

([2]) نقلا عن وكالة الأنباء العالمية BBC بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤

وقد وافقت البلاد العربية بالإجماع على مبادرة السلام السعودية التي تقدم بها الأمير عبد الله لمؤتمر القمة العربي المنعقد في بيروت في ٢٨-٣-٢٠٠٢ . ولقد صادق المؤتمر بالإجماع على المبادرة السعودية، التي أصبحت بعد تلك المصادقة مبادرة السلام العربية وهي تلخصت في الشروط التالية :

١- الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الجولان السوري، وحتى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧، والأراضي التي مازالت محتلة في جنوب لبنان.

٢- التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٣- قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ ٤ يونيو ١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة تكون عاصمتها القدس الشرقية .

٤- عندئذٍ تقوم الدول العربية بما يلي:

أ- اعتبار النزاع العربي -الإسرائيلي منتهياً، والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة.

ب- إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل .

ج- ضمان رفض كل أشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص بالبلدان العربية.

د- يدعو المجلس المجتمع الدولي بكل دوله ومنظماته إلى دعم المبادرة.

هـ- يطلب المجلس من رئاسته تشكيل لجنة خاصة من عدد من الدول الأعضاء والأمين العام، لإجراء الاتصالات اللازمة لهذه المبادرة، والعمل على تأكيد دعمها على كافة المستويات في مقدمتها مجلس الأمن والأمم المتحدة .

أمريكا وحل المنازعات الإقليمية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي

وفي الفترة ما بين منتصف الثمانينات إلى آخر التسعينات – قبل الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١– عادت السياسة الأمريكية سيرتها الأولى إلى العمل على التسوية ، وإنهاء الصراع في الشرق الأوسط ، بعدما انهار الاتحاد السوفيتي وانسحب من الصراع ، ودخل العالم في مرحلة التحول القروي الحضاري للعالم الذي يفرض ضرورة العمل بجهد مشترك لإطفاء أوار النزعات العدائية . وذلك بمعيار الحلول الوسط ، كبديل لمعيار الحلول النهائية لهذا الطرف أو ذاك ، الذي كان مهيمنا في عصر الاستقطاب الدولي والحرب الباردة .

وأصبح هذا يعني توفير الظروف الملائمة قدر الإمكان ، لتنظيم مفاوضات تسوية بين أطراف الصراعات . وقاد هذا المسعى الذي اتخذ مسارات متعددة ، داخل الأمم المتحدة وخارجها ، وعلى الأخص في أمريكا وأوربا واليابان بعد الانهيار السوفييتي إلى بناء قوة دولية مركزية تضبط الفلتان ، وتنزع فتائل " القنابل الصراعية " في " عالم القرية " الجديد . (1)

سنت القوة الدولية المركزية الجديدة التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها دستورا لحركتها أهم مبادئه :

١– تجريم استخدام القوة المسلحة للأطراف المتصارعة في حل المنازعات الإقليمية.

٢– مشروعية استخدام كل الوسائل لجلب الأطراف المتصارعة إلى مائدة المفاوضات المباشرة للوصول إلى حل وسط . وذلك ابتداء من الاقتناع الدبلوماسي ، إلى ليّ الأذرع ، إلى التلويح بالعون الاقتصادي الحال أو المؤجل ، إلى الحصار ، إلى تجفيف الموارد المالية ، إلى استخدام القوة المسلحة الرادعة تحت راية الأمم المتحدة الفضفاضة ، أو تحت ذريعة حق الدفاع عن النفس إزاء عدوان قائم أو مرتقب .

(1) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٤

٣- استغلال كل الظروف القاسية ، المحلية والإقليمية التي بات يعاني منها كل طرف بالنزاع في صراعه مع الطرف الآخر ، وذلك للضغط من أجل تجاوز " الحل النهائي " النابع من فوهة البندقية ، إلى الحل الوسط التفاوضي على أساس التعايش بين العداء .

وهكذا راحت تتبدى ظاهرة جديدة في " العالم – القرية " منذ منتصف الثمانينات ، وبلغت أوجها في أوائل التسعينات مع حرب الخليج العربية – الدولية . ونعني بهذه الظاهرة بروز ما أصبح يعرف باسم " إرادة المجتمع الدولي " التي تفرض بجماع القوة المتاحة ، العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية قرارات الحلول الوسطى على جميع أطراف الصراعات الإقليمية ، نلمس ذلك في كمبوديا ، وجنوب أفريقيا ، والصراع العربي الإسرائيلي ،والصومال ، والصراع العِرْقي الديني فيما كان يسمى بيوغوسلافيا.

صحيح أن كل هذه الصراعات الإقليمية كان لها امتداداتها الدولية ، بدرجة أو بأخرى ، غير أن الاهتمام الدولي لم يكن – أبدا – قبل دوامة المتغيرات العاصفة منذ منتصف الثمانينات موحد الأهداف الوسائل . وإنما كان متضاربا ومتصادما نتيجة واقع الاستقطاب الدولي وتحالفاته مع هذا الطرف أو ذاك في ميادين الصراعات الإقليمية ، هذا فضلا عن أن " الدور الدولي " في الصراع الإقليمي كان ينشط – أساسا- في حالة الحرب أو التوتر الصدامي للصراع ، في حين كان يصيبه الفتور عندما تبرز بين آن وآخر ، ولوقت محدود للغاية حالة تبدو فيها بارقة أمل لتسوية سياسية سلمية للصراع .

السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثانية

إذا ألقينا الضوء على مسار الصراع العربي الإسرائيلي ، وبالذات في بُعْده الفلسطيني ، بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ ، سوف نلاحظ – على وجه التحديد –

ذلك التناغم في الحركة ، والضغوط غير المسبوقة بين الولايات المتحدة " العضو الأقوى " في الأسرة الدولية الحاكمة للقرية العالمية الراهنة وبين الاتحاد السوفييتي " العضو الضعيف المنهار " في الأسرة ، ليس فقط على مجمل الأطراف ، بل أساسا وبصورة مركزة ، على الطرف الذي ارتبط تاريخيا بالقوة الأمريكية أو بالقوة السوفييتية في عصر الاستقطاب (الحرب الباردة) .

بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل نرصد على سبيل المثال عناوين الوقائع التالية :

١- إجبار إسرائيل على عدم الرد العسكري على إطلاق الصورايخ العراقية ضدها خلال حرب الخليج الثانية .

٢- تجميد ضمانات القروض المطلوبة إسرائيليا بقيمة عشرة مليارات من الدولار حتى تتعهد إسرائيل بعدم إنفاقها على إنشاء مزيد من المستوطنات في الأرض الفلسطينية والسورية المحتلة .

٣- سحق معارضة الليكود وحكومته ضد الاشتراك في مؤتمر مدريد وإجبارها على المشاركة بوفد يرأسه اسحق شامير بنفسه .

٤- الإطاحة من خلال التدخل شبه المرئي في انتخابات الكنيست في عام ١٩٩٢ بالليكود ودفع حزب العمل الإسرائيلي الذي كان قد أعلن برنامجه الجديد الذي يؤيد التسوية السلمية مع الفلسطينيين إلى تولي السلطة .

٥- إدانة التقرير الأمريكي السنوي الصادر عن وزارة الخارجية عن انتهاك حقوق الإنسان لإسرائيل في استخدامها للقوة المفرطة وغير المبررة ضد الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة .

٦- دفع رابين للعدول عن موقفه بعدم المشاركة في احتفالات البيت الأبيض بتوقيع إعلان المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي بهدف قطع الطريق على ياسر عرفات للمشاركة وتعامل السلطات الأمريكية – علنا – مع كل منهما على قدم المساواة .

بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، ومنظمة التحرير الفلسطينية نرصد على سبيل المثال أيضا عناوين الوقائع التالية :

١- التوقف عن توريد السلاح لمنظمة التحرير الفلسطينية إلا إذا تم دفع الثمن كاملا وبالعملة الصعبة قبل الشحن ، ثم التوقف نهائيا عن توريد السلاح .

٢- العمل المشترك مع الولايات المتحدة لإلغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية حركة عنصرية .

٣- إيقاف تدريب الكوادر العسكرية الفلسطينية في كل المعاهد السوفيتية .

٤- إغلاق دائرة تبادل المعلومات السوفييتية الفلسطينية حول ما كان يعرف بينهما باسم خطط الإرهاب الإسرائيلي .

٥- الضغط على منظمة التحرير للموافقة على المشاركة في مؤتمر مدريد من خلال وفد مشترك مع الأردن ، وليس بوفد مستقل . (1)

والذي أدى إلى هذا التناغم والتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتي هو انكسار ظهر اقتصاد الاتحاد السوفيتي ، نتيجة سياسته الاشتراكية الفاشلة التي آمن بها دهرا ثم ارتد عنها كفرا . وتبنى " البيريسترويكا " والتي تتمثل فكرتها الأساسية في إضفاء طابع إنساني على الاشتراكية ، ودمج الاشتراكية بالديمقراطية وخلق مجتمع يكون فيه الإنسان " مقياس كل شيء " إن الاشتراكية مجتمع الجماهير العاملة ومن أجل الجماهير العاملة . وعندما نعني أننا نريد إشاعة الديمقراطية والإنسانية في الاشتراكية ونؤكد " بعدها الإنساني " ، والمهمة الرئيسية هي إعادة بناء علاقات الملكية وإنهاء حالة اغتراب الناس . (2)

---

(1) لطفي الخولي " العرب وإسرائيل " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢- ١٥ بتصرف يسير .

(2) فاديم ميدفديف هو عضو المكتب السياسي وسكرتارية المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، والفقرة من الخطاب الذي ألقاه في الكونفرنس العلمي الدولي حول " القضايا الآنية لتطور الاشتراكية

يقول فاديم ميدفديف : " إن ميولا واتجاهات سلبية بدأت تبرز بوضوح متزايد في مسار تطورنا منذ نهاية السبعينات فقد فقدت الاشتراكية أفضليتها على الرأسمالية في معدلات النمو الاقتصادي ، وبدأ التخلف يظهر في ميادين جديدة من التكنولوجيا ، ولم تجد كافة البلدان الاشتراكية بالطبع نفسها في نفس الوضع ، ولكن إذا نظرنا إلى اللوحة بكاملها رأينا أنها تتسم بتزايد المصاعب ، وتباطؤ التطور .

لقد حان الوقت – الآن – الذي أصبحت فيه الحاجة ملحة إلى تغيرات عميقة على تجديد المجتمع الاشتراكي السوفيتي .. يبدو علينا أن نعود على منابع الفهم اللينيني للتعايش السلمي ، عن طريق تطهيره من تشوهات وترسيبات الفترة اللاحقة (يقصد فترة الحرب الباردة) .

فاليوم إذ تتجسد القيم الإنسانية العامة بشكل أكثر حيوية ولاسيما في مجال ضمان بقاء الجنس البشري ، تتقدم هذه القيم بالذات على غيرها من القيم قاطبة في العلاقات الدولية لتشكل نواة التفكير السياسي " (1)

***

اليوم " الذي انعقد في موسكو في أوائل أكتوبر ١٩٨٨ . نقلا عن كتاب " البيريسترويكا ، مفهوم جديد للاشتراكية " ترجمة : حمدي عبد الجواد دار الثقافة الجيدة

(1) نفسه .